

أساليب الغزو الفكري (العلمانية ، العولمة)

أ.م.د. وليد احمد عبد الشجيري

جامعة الانبار / كلية التربية للبنات / طرائق تدريس التربية الاسلامية

المخلص

يهدف هذا البحث الى معرفة اساليب الغزو الفكري واثرها على شخصية النشئ والوسائل التي افرزتها كل من العولمة والعلمانية وموقف الدين الاسلامي منهما. وذلك بالتعريف لها ووسائل واساليب نشرها وطبيعة علاقه والخصوصيه الثقافيه والمجتمع باسم الشرق والغرب مع ذكر العوامل والارضيه الخصبه التي ساهمت في ارتدادها لثوب الدين. فنتشوه بذلك المناهج وتصبغها بهذه الصبغه. وتؤثر سلبا على عقول الطلبة وسلوكهم وطبيعة نظرتهم الى انفسهم وواقعهم مما يدفع الى تكريس هذه المناهج والتاكيد على اعتبار انها الهدف الاسمى فيقعون تحت دائرة التبعية. فجااء هذا البحث لكي يرشد الطالب المسلم بمعلومات موضوعيه عن دافع هذه الافكار الضاله والهدامه مع تبصيره بانواع الخطط التي هدفها تحريف الاصول قبل الفروع للدين الاسلامي.

كذلك تحذير الشاب المسلم على وجه الخصوص من الاغترار والانخداع بالاساليب والافكار التي يروج لها اعداء الامه. وقد خرج البحث بمجموعه من التوصيات ونذكر ابرزها
١- ابراز معطيات الفكر التربوي الاسلامي عبر العصور والقدره على تمثيل ذلك وتحليله والاستفاده منه

٢- الاقلاع العلمي والابداع الحقيقي لفكر تربوي عربي اسلامي

٣- التاكيد على ما قام به رواد الفكر التربوي الاسلامي من عظماء الامه

٤- التاكيد على مناهج التربية الاسلامية ومواجهة المشكلات والتحديات التي واجهت المجتمع واكساب النشئ القيم الدينيه الصحيحه.

Abstract

This research aims to know the techniques of intellectual invasion and their effect on the personality of the human being, and the means produced by globalization and secularism and the standpoint of Islam towards them. And that will be achieved by defining them and the ways and means of spreading them and by the nature of the relationship and cultural privacy in the name of East and West. And also by mentioning the factors and the fertile ground that helped it to wear the garment of

religion. Thus, distorting the curriculums and dyeing it with this color, negatively affect the minds and behaviors of students and the nature of their perception of themselves and their reality. That will lead to the dedication of these methods and considering them the highest goal for the students and thus they fell under its influence and became dependents. So, this research came to guide the Muslim student with objective information about the motivation of these misleading and destructive ideas and to make him aware of the types of plans that aim to distort the assets before the branches of the Islamic religion.

As well as warning the young Muslim in particular of the arrogance and deception of the methods and ideas which the enemies of the nation promote.

This research came out with a set of recommendations, the most prominent of which are:

١. To highlight the data of the Islamic educational thought through the ages and the ability of representing and analyzing it and benefit from it.
- ٢ – The scientific elevation and the real creativity for an Islamic, Arabic, and educational thinking.
- ٣ –Emphasizing the role practiced by pioneers of Islamic educational thought.
- ٤–Putting emphasis on Islamic educational curricula, facing problems and challenges encountering society, and teaching the youth authentic religious values.

مشكلة البحث

ان تنوع المعرفة واستحالة حصرها وتوفرها اتاح فرصة الاطلاع على موضوعات كثيرة ومتشعبة المصادر والمراجع.

واصبحت قضية الكيفية تحتل مكانة مهمة في الاوساط التربوية والعلمية اي كيف؟ وماذا نتعلم؟ وما مدى ارتباط حياتهم. تمس قضية غاية في التعقيد سيما منهج التربية الاسلامية . وفي ظل هذه التقلبات الفكرية والنفسية والاجتماعية التي تمر بها المجتمعات لذا اصبح لزاما على المعنيين ان يبصروا ويرشدوا الى البناء التربوي السليم الذي يؤكد على الاصاله والمعاصره . كي لا ينجر الطالب وراء تلك الكتابات التي يراعى فيها عقول النشئ ويقعون تحت تاثيرها السلبي ويعتقدون انها تمثل الخلاص لهم وهي سموم فكرية ناتجة عن سوء التربية او سوء الفهم بسبب ضعف قدراتهم الفكرية⁽¹⁾. ولما كان منهج التربية الاسلامية يعنى بتوسيع الافاق الفكرية وتنقيف العقل البشري والحض على طلب العلم وجعله فريضة اصبح لزاما ان يتمثلوا قيمه فكرا وسلوكا فكان من ذلك ان بلغت الحضاره الاسلاميه الى مرحلة الاوج والازدهار لم تبلغها امه انذاك.

فعملت على ايجاد نظره كلية وشمولية ما بين الانسان والكون والحياة وما بين نفسه وواقعه. فاصبحت سمة التفكير المنطقي والعلمي هي السمة البارزه لديه في كافة جوانب سلوكه من خلال الدعائم والركائز التي اكد عليها القران الكريم والسنة النبويه المطهره⁽²⁾.

غير ان مجريات الاحداث والانعطافات التي مرت بها الحضاره الغربيه بعد انتهاء الحروب الصليبيه وما منيت به من خسائر وهزائم جعلتهم يستخلصون الفوائد والعبر التي مكنتهم فيما بعد من السيطرة على الدول الاسلاميه ونهب خيراتها. لانهم فطنوا الى سر قوة المسلمين بعقيدتهم وتمسكهم بها. كما اعتقدوا ان مجابتههم وملاقاتهم عسكريا تدفعهم للعوده الى هذا الدين واستمداد القوه منه.

وبدأت هذه التجربة الطويلة بوضع الخطط لغزو المسلمين بوسائل اخرى اقوى من الاسلحه التقليديه. الا وهو غزو العقول والافكار التي هي اكثر تاثيرا من الاسلحه الفتاكة سواء من خلال الاستشراق. او التأثير بالمفاهيم الفكرية او تكريس الابحاث او تنصيب قادة الاداره في جميع مفاصل الدولة والمجتمع التي حملت افكارهم من ذوي النفوس الضعيفه والطبائع المنحله والشخصيات الممزقه وتقليدهم هذه المناصب لكي يخدموا الاهداف والتطلعات والامال التي ينادي بها الفكر المعادي(الغربي) .

فجاء هذا البحث لكي يسلط الضوء على خطورة الغزو الفكري انطلاقا من مبدا ان غزو واستعمار الفكر اكثر تاثيرا من استعمار الوطن.

ونظرا لاختلاط المفاهيم واطلاق الاسماء بغير مسمياتها وتداخل وتشابك المفاهيم بالنسبة للطالب ايها يدع وايهما ياخذ من خلال هذه الازدواجية في البناء القيمي والشعوري بينما ماتدعوا اليه الاسره والمدرسة وبينما ما تدعوا اليه القيم الداخلة والمستورده بلبوس عربي اسلامي وقع الطالب في حيره من امره فاصبح عرضه او فريسه سهله لهذه الافكار⁽³⁾. ومن هذا

ندرك عظم ومسؤولية الموجهين والمعلمين ورجالات التربية ودعاة الإصلاح الى فك الارتباط بين هذه الاشكاليات والى استخدام العقل والعلم والفهم وحسن التدبير لانه السلاح الحصين الذي يشعر الطالب بهويته وانتمائه لدينه ووطنه وامته.

خطة البحث:- جاءت خطة البحث بداية لمشكلة البحث ثم التمهيد بتعريف الغزو الفكري . واهمية البحث والحاجة اليه واشتمل البحث على ثلاث مباحث وخاتمة وتوصيات ومقترحات.

التوصيات والمقترحات

١- ابراز معطيات الفكر التربوي الاسلامي عبر العصور والقدره على تمثّل ذلك وتحليله والاستفادة منه

٢- الاقلاع العلمي والابداع الحقيقي لفكر تربوي عربي اسلامي

٣- التاكيد على ما قام به رواد الفكر التربوي الاسلامي من عظماء الامه

٤- التاكيد على مناهج التربية الاسلامية ومواجهة المشكلات والتحديات التي واجهت المجتمع واكساب النشئ القيم الدينيه الصحيحه.

التمهيد : بالتعريف الغزو الفكري واهمية دراسته واثاره

اولا : تعريف الغزو الفكري

لغة : وهو مصطلح مركب من شقين هما:

(١) الغزو : يقال : غزاه غزوا : اراده وقصده وطلبه^(٤).

(٢) الفكري : الفكر : اعمال النظر او اعمال الخاطر في الشيء ، والتفكر والتأمل^(٥).

والفكر : اعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة المجهول ، ويقال : في الامر فكر

اي نظر وروية ، وجمعه افكار^(٦).

والفكر : تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني ،

عرف العلماء الغزو الفكري بعدة تعريفات وهي :

١- هو حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها امة من الامم للاستيلاء على امة اخرى او

التأثير عليها حتى تتجه وجهه^(٨).

٢ - هو ان تتبنى امة من الامم وبخاصة الامة الاسلامية معتقدات وافكار الامه الاخرى من الامم الكبيرة وهي غير إسلاميه دائما. دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الامة الاسلامية ، في اي قطر

من ، فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها ، وسنة رسولها ، وما يترتب على هذا الصرف من ضياع .

٣ - هو ان تتخذ امة من الامم مناهج التربية والتعليم لدولة من الدول الكبيرة قد طبقتها على ابناءها واجيالها ، فتشوه بذلك فكرهم وتمسح عقولهم ، وتخرج بهم الى الحياة ، وقد اجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية اولاً ، ثم يلبس الامر عليهم بعد ذلك فيحسبون انهم بذلك على صواب ، ثم يجادلون عما حسبه صواباً ، ويدعون اليه^(٩) .

ثانياً : أهمية الدراسة والحاجة اليها

ان دراسة الغزو الفكري لها اهمية فهي تهدف الى :

١ - امداد الباحث و طالب العلم بأفكار موضوعية تقفه على اساليب ووسائل الافكار المناوئة والمعادية للإسلام ، ليكون على وعي بأخطارها ودراية بطرق معالجتها بأسلوب يتسم بالحصانة ويعد النظر .

٢ - تنوير المسلم بان اعداء الاسلام تهدف خططهم على اختلاف مذاهبهم على اساس واحد هو الكيد للإسلام ، فهم يركزون على تشويه الاصول قبل الفروع ، فهم يتصدون للقران الكريم ، والرسول محمد ﷺ ، ويحاربون اللغة العربية ، ويعملون على افساد الاخلاق ، ونشر الرذيلة والفسوق بين حضاراتنا ، وفصل الاسلاميين عن تاريخهم وسير سلف امتهم الصالح .

٣ - دعوة الاجيال التي تأثرت بتلك المذاهب والاتجاهات وجعلها اجيالاً اسلامية داعية تحيا بالإسلام ، وتعمل به ، وتستطيع ان تجابه تلك الحركات الفاسدة الفاسقة .

٤ - بيان ان اتباع المذاهب والافكار المعادية للإسلام بسبب الخلاف والنزاع والفرقة بين المسلمين ، والله تعالى امر بالاعتصام بكتابه قال ﷺ : ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) [ال عمران : ١٠٣] .

٥ - تحذير المسلمين عامة والشباب على وجه الخصوص من الاغترار والانخداع بالأفكار والاساليب التي يروج لها اعداء الاسلام والمسلمين^(١٠) .

ثالثاً : آثار الغزو الفكري

وكان من ابرز اثاره : افساد العقيدة وتحطيم مظلة الاعراف الاخلاقية في المجتمعات الاسلامية ، فانطلقت تسري في اوصالها كل موبقات الحضارة الاوربية حتى وصلت في ظل الاحتلال الى مرحلة الشيعو والاستعلان ، ثم الى مرتبة الاستقرار والاستحسان ، ثم وصلت الى درجة اصبحت فيها تحت حماية القوانين الوافدة ، ودخل في روع المغلوبين ان الانحلال والفساد من ضروريات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة ، وقد ظهر هذا الانحلال في البداية في

السلوك الفردي ، فانحرف الناس عن نهج الدين واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية، فاقبل كثير منهم على الخمر والفجور والقمار والربا ونحو ذلك ، ثم دب دبيب التهاون في الدين فتناول العبادات والعقائد وغيرها من انواع الانحلال ، فتكاسل الناس عن اداء العبادات وانتشرت في الجو ضروب من الفلسفة والمذاهب الضالة، واستمالة الشباب وغيرهم ، وصارت العلاقة الجنسية والنزعة الاباحية الشغل الشاغل للسينما وكثير من المجالات والصحف ابتغاء وفرة الربح والدخل ، فانحرف الشباب وفسدت روابط الاسرة ثم عم السيل وطم ، فانهارت الفضائل الاخلاقية والاجتماعية عندما شهد الاسلام تغييرا اجتماعيا استجابة لدعوات التغريب على يد المستعمرين ومؤسساتهم التبشيرية والاستشرافية .. ولكنه وفق الاسلوب الجديد اصبح يتم على ايدي المسلمين انفسهم من تلاميذ المستشرقين والمبتعثين ، يساندتهم في تنفيذ هذا المخطط بعض الحكام المسلمين^(١١).

كما اثمرت جهود المنصرين عن تنصير كثير من ابناء المسلمين الذين درسوا في مدارسهم ، او الجأتهم الحاجة او الاعجاب الى اتباع دين النصارى ، كما اعتقد كثير من المنتسبين الى الاسلام الافكار الكافرة ، كالكفرة الشيوعية ، او القومية البعثية ، او العلمانية ، او غير ذلك من الفلسفات الضالة^(١٢).

وكثيرة لتشجيع المستعمرين ازدهرت المظاهر الوثنية في كثير من البلاد الاسلامية من عبادة القبور ، والتبرك بها ، والحج الى المشاهد ، والطرق الصوفية الضالة ، التي استحوذت على كل من فيه نزعة الى التدين .

اما الاقتصاد : فقد وجه الاستعمار موارد البلاد الاسلامية الى مصالحه الخاصة .. واحتكر التجارة الخارجية للبلاد الاسلامية ، ومعظم التجارة الداخلية ، وعمد الى توطين الاوربيين في البلاد الاسلامية عن طريق التجارة .. واتجه الاستعمار الى محاربة الصناعة الوطنية في العالم الاسلامي ، وربط عملات العالم الاسلامي بعملاته ، بالإضافة الى تأسيس اقتصاد العالم الاسلامي على الربا ، وعلى نظريات ونظم الغرب الرأسمالي .

واما الناحية السياسية فقد وزع المستعمرون العالم الاسلامي الى دويلات ومناطق ونفوذ ، اقسمتها الدول الاستعمارية الغربية او الشرقية ، واسفرت هذه الاثار عن اقصاء الشريعة الاسلامية عن ميدان الحكم في العالم الاسلامي^(١٣).

المبحث الاول

الجدور التاريخية للعلمانية

المطلب الاول : تعريف العلمانية لغة واصطلاحا

العلمانية في اللغة : لم توجد لفظة العلمانية في اللغة العربية القديمة وقد وردت في بعض الكتب الحديثة:

أ- قد ورد في معاجم المعلم بطرس البستاني : (العلماني : العامي الذي ليس بأكليريكي)^(١٤).

ب - اما في المعاجم العربية الحديثة : (يقصد بالعلماني : ما ليس كنسيا ولا دينيا)^(١٥).

ج - وفي المعجم الوسيط^(١٦) : (العلماني نسبة الى العلم بمعنى العالم ،^(١٧) وهو خلاف الديني او الكهنوتي)^(١٨).

اما في الاصطلاح : فقد وردت تعاريف عدة منها :

١ - العلمانية اللادينية او الدنيوية : وهي دعوة الى اقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ، ومراعاة المصلحة بعيد عن الدين ، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم ، وهي اصطلاح لا اصل له بكلمة العلم ، ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة ، وحياة المجتمع وابقائه حبيسا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه ، وتتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة ، اذ لقيصر سلطة الدولة والله سلطة الكنيسة ،

اما الاسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله ((قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)) [الانعام : ١٦٢]^(١٩).

٢ - العلمانية : اللادينية في الحكم ولكنها في واقع الامر وجه اخر للماسونية ابتدعه دهاة اليهود وفلاسفة المادية والاحاد ليجذبوا الى جحيمهم اولئك الذين اتخذوا موقفا حذرا من الماسونية والوجودية والشيوعية ... فوقع في هذا الشرك خلق كثير^(٢٠).

المطلب الثاني : مفهوم العلمانية بالمصطلح الدقيق

العلمنة او العلمانية التي ينشد بها المستغريون اقرارها في العالم الاسلامي فهي تعني المبدأ الذي اخطه علماء الغرب منهجا لحياتهم ، وقد اخطأ الذين ترجموها بالعلمانية لانهم بذلك ينسبونها الى العلم ، واصحابها الذين جعلوها مذهباً لهم في ديارهم لا يريدون بها هذا المعنى ، واذا رجعنا الى دائرة المعارف البريطانية والمعاجم الانكليزية كقاموس (العالم الجديد لوبستر) ومعجم اكسفورد والمعلم الدولي الثالث الجديد ، تراهم جميعاً يفسرونها باللادينية او الذنوبية ، ويطلقونها على كل ما ليس بديني ، وقد عرفها مجمع اللغة العربية في مصر بقوله: (العلمانية مصدر صناعي من العالم ، اي الانتماء الى العالم او الارض دون الانتماء الى الدين او العلم ، والمقصود بها في لغتها الاصلية فصل الدين عن الدولة وابعاد الكنيسة عن السلطة)^(٢١).

وقد اثر الغرب في فكر كثير من القادة والزعماء والمفكرين فانساب فيهم مفاهيم الغرب الخاطئة وطرائقه الضالة ، وظن هؤلاء ان التقدم الذي حققه الغرب عائد الى قيمه واسلوبه واخلاقه ، ويقول : آغا أوغلي احمد احد دعاة الكماليين في تركيا : (انا عزمنا على ان نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رثتهم، والنجاسات التي في امعائهم)^(٢٢).

ومن جيل المستغريين الذين اغش ناظره بريق الحضارة الغربية عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر العربي الاول الذي عقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع (سن صرمن) في باريس من ١٨-٢٣ حزيران ١٩١٣ م ، ومن الذين نادوا بالاخذ في حضارة الغرب طه حسين وقد صرح بان طريق الحضارة والرقى والنهضة عنده كما نص عليه في كتابه (مستقبل الثقافة) : (واضحه بينه مستقيمة ليس فيها اعوجاج ولا التواء ، وهي ان نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم ولنكون لهم انداد ، ولتكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب)^(٢٣).

وقد اصبح كثير من هؤلاء المستغريين حكاما ومفكرين وقضاة وادباء ، وقد عملوا على اقضاء الشريعة الاسلامية واقرار القوانين الوضعية ، واستوردوا النظريات الفلسفية الغربية في الاجتماع والتربية والتعليم وعلم النفس ، وقطعوا الأصرة بين العلم والدين وابعادوا الخمر كما ابعادوا بصورة اخرى الزنا والفساد ، ونقلوا اليها كثيرا من عادات الغرب وسلوكياته ، واستجابت بعض البلاد للعلمانية استجابة عظيمة كتركيا التي الغى العلمانيون فيها الخلافة كما الغوا فيها

منصب شيخ الاسلام ، والغوا القوانين الاسلامية وقطعوا صلة تركيا بالكتاب الاسلامي عندما ازالوا الحروف العربية واستخدموا الحروف اللاتينية^(٢٤).

المطلب الثالث : اسس العلمانية واعمالها

تتكر العلمانية وجود الله وان كان بعض منتبعيها يؤمن بوجوده سبحانه وتعالى الا انهم ينفون الخلق الالهي وينكرون الشرائع السماوية والبعث والحساب.

قال تعالى : (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) [الجاثية

: ٢٤].

لقد حثوا الناس على السعي والعمل لدنياهم وشجعوهم على التمتع بما تزخر به الحياة من ملذات جنسية وغير جنسية ، ودعوا الى الاباحية والى اجتراح كافة الموبقات ، وفصلوا بين عالمي المادة والروح ، وبين السياسة والدين ، وطبقوا مبدا النفعية (البراغماتيزم) على كل شيء فـ في الحياة ، كما اعتمدوا مـبـدا (الميكيا فيلية) في فلسفة السياسة والحكم والاخلاق ، ودعوا الى الاباحية والى تحرير المرأة والى هدم الاسرة والغاء الرابطة الزوجية وتلبية حاجات الجسم الفسيولوجية والغريزية والجنس من خلال البغاء والفوضى اللا اخلاقية .

ولكي يسهل تطبيق هذه الدعوة الى التفسخ والانحلال دعوا الى تحرير المرأة وشجعوها على الفساد وعلى ممارسة الجنس مع من تريد دون رابطة الزوجية ، واعتبروا ذلك علامة تحضرها ورقبها وتمدنها واعتبروها زهرة فواحة يحق لكل من يشتهيها ان يرشف ما شاء من رحيقها ، فامتنت بذلك كرامة النساء وصرن ذليلات مبتذلات والعوبة بيد الرجال ومكان تنفيس وتفريغ غرائزهم وقذاراتهم .

لقد دعوا الشعوب الى التحرر من مكارم الاخلاق واعتبروها رجعية موروثة عن الاباء ، واعتبروا حاملها متخلفا لا يواكب التقدم والمدنية والتطور الفكري^(٢٥).

وطعنوا بالاسلام والقران وانكروا نبوة سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ، واتهموه بافتراء القران ونسبوا الفقه والتشريع للرومان .

ومن هذا العرض للعلمانية وتعريفاتها نجد ان فلاسفة القرن العشرين لم يأتوا بجديد عندما

تعرضوا للإسلام والمسلمين بل اعدوا ورددوا ما سبق وقاله اسيادهم من الملاحدة الاسبقين !

قال تعالى : (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)) [البقرة: ١١٨] .

لقد اعتبروا كل مسلم ملتزم بدينه رجعيًا ومتخلفًا ولا يحق لسفيهه مثله ان ينتمي الى هذا الزمان ، قال تعالى : ((الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)) [البقرة : ١٣] .
وارادوا من هذا كله ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، وان يخدموا روح الاسلام بإرياك المسلمين واحراجهم ليجبروهم على كتم ايمانهم خاصة منهم من اقتضت ظروفهم ان يتواجدوا في ديار الغرب الملحد .

ودعوا الحكومات الموالية لفلسفتهم وايدولوجياتهم ان يغسلوا ادمغة الاطفال، وان يلقنوهم تقديمتهم الملحدة منذ نعومة اظفارهم ليشبوا على ذلك وليكونوا من طينتهم ومنتهم عندما يستلمون مقاليد الامور في بلادهم .

تزامن ميلاد العلمانية مع ميلاد الثورة الفرنسية ١٧٨٩م ثم انتشرت كالتطاعون الوبيل في القرن العشرين ، روجت الماسونية والصهيونية والشيوعية لمبادئ العلمانية فاعتنقتها شعوب الارض وتبنتها حكوماتهم^(٢٦) .

بعد ان تفش الداء وعم البلاء صرنا نرى أناسا يتفاخرون بعلمانيتهم والحادهم ، ويانهم متحذرون ومتحذرون ومستغربون قاتلهم الله أنى يؤفكون .

لقد ازدروا المسلمين وتجاهلوا الله ، وتركوا الصلاة واعطوا ظهورهم للقران ولشريعة السماء ، وانكروا البعث والحساب ، وسعوا في الارض بالفساد ، وانتهكوا الحرمات وارتادوا الموبقات .

وبلغ حلفهم اشده عندما راحوا يتتبعون على الله ويسخرون منه ومن رسوله ومن دين الاسلام ! ويكل وقاحة راحوا ينشرون افكارهم في الكتب والمجلات والدوريات ووسائل الاعلام دون ان يحسبوا لله اي حساب ودون ان يرجوا الوفاق لرئب الارياب .

واذا سمعوا القران واذا ذكر الله على مسامعهم اشمأزوا واستنكروا ، واذا ذكر اسيادهم وعقيدتهم استبشروا وهللا ، قال تعالى : ((واذا ذكر الله اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون)) [الزمر ، ٤٥] قاتلهم الله .

كما جادلوا في آيات الله واستكبروا عنها ، قال تعالى : ((الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون * الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون * اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون * ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون)) [غافر ، ٦٩ - ٧٣]^(٢٧) .

الاتجاهات العلمانية في العالم العربي والاسلامي اذكر نماذج منها :

١ - في مصر : دخلت العمانية مص مع حملة نابليون بونابرت ، وادخل الخديو اسماعيل القانون الفرنسي سنة ١٨٨٣م ، وكان هذا الخديو مفتونا بالغرب وكان امله ان يجعل من مصر قطعة من اوروبا^(٢٨).

٢ - الهند : عام ١٧٩١م كان الحكم على منهاج الشريعة الاسلامية ثم تدرج من هذا التاريخ لالغاء الشريعة بتدبير الانجليز ، وانتهت تماما في اواسط القرن التاسع عشر.

٣ - الجزائر : الغاء الشريعة الاسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م^(٢٩).

٤ - تونس : دخل القانون الفرنسي فيها عام ١٩٠٦م .

٥ - المغرب العربي : جاء القانون الفرنسي فيها عام ١٩١٣م .

٦ - تركيا : لبست ثوب العلمانية عقب الغاء الخلافة واستقرار الامور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك ، وان كانت قد وجدت هناك ارهاصات ومقدمات سابقة .

٧ - العراق وبلاد الشام : الغيت الشريعة ايام الغاء الخلافة العثمانية ، وتم تثبيت اقدام الانجليز والفرنسيين فيهما .

٨ - معظم افريقيا : فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الاستعمار .

٩ - اندونيسيا ومعظم بلاد جنوب شرقي اسيا : دولة علمانية .

١٠ - انتشار الاحزاب العلمانية والنزعات القومية : حزب البعث ، الحزب القومي السوري ، النزعة الفرعونية القومية العربية^(٣٠).

المطلب الرابع : وسائل نشر العلمانية

حرص الغرب منذ وطئت اقدامه التراب الاسلامي على نشر العلمانية بأكثر من سبيل ، وحين ورثت النخبات الاجنبية (النخبات الوطنية) مكان السلطة وبوأتها كراسيها حرصت على زيادة نشر العلمانية بكل الوسائل ، ووضعت خبراتها (العلمية) والتكنولوجية لتحقيق هذه الغاية .

ومن ثم فلم يكن غريبا ان نسمع عن بلاد اسلامية متخلفة من الدرجة الثالثة او الرابعة ، تدخل فيها (التلفزيون) قبل ان تمحو من ابناءها الامية التي تربو على الثمانين او التسعين في المائة .. بل اننا نسمع عن ادخال التلفزيون الملون في بلاد متخلفة جدا واهيانا فقيرة جدا .

اما مجالات نشر العلمانية ووسائلها فقد كانت اولا : في التعليم ، ثانيا : في الاعلام ، صحافة واذاعة وتلفزيون وسينما ومؤلفات ، ثالثا : في القانون .

اولا : التعليم : ان التعليم الوطني عندما قدم الانجليز الى مصر كان في قبضة الجامعة الازهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتي كانت اساليبها الجافة القديمة !! تقف حاجزا في طريق اي اصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الديني !! ولا يصيبون الا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقدير ، فلو امكن تطوير الازهر عن طريق حركة تتبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر^(٣١).

ولكن اذا بدا ان مثل هذا الامل غير متيسر تحقيقه فعندئذ يصبح الامل محصورا في اصلاح التعليم اللاديني الذي ينافس الازهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الازهر نفسه اما احد امرين : فاما ان يتطور ، واما ان يموت ويختفي^(٣٢) ، ويقول المستشرق جب : (وفي اثناء الجزء الاخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت اشراف الانجليز في مصر والهند)^(٣٣).

ويقول ايضا زعيم المبشرين النصارى (زويمر) يقول على جبل في القدس ابان الاحتلال الانكليزي لفلسطين سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م : (لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية وانكم اعددتهم نشئا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يرد ان يعرفها واخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشئ الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه الا في الشهوات ، فاذا تعلم فللشهووات واذا جمع المال فللشهووات وان تبوأ اسمى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود بكل شيء)^(٣٤).

وكان له في ذلك اكثر من سبيل .. اما السبيل الاول : فهو ما لجأ اليه من حصر التعليم الديني وحصاره ماديا ومعنويا .

فأما الحصر والحصار المادي فقد كان يفتح التعليم اللاديني في مواجهته وتشجيعه وهو ما اشار اليه بعض المستشرقين (بإنماء التعليم العلماني تحت الاشراف الانكليزي في مصر والهند) ، وتم مع ذلك تضيق الموارد المادية على التعليم الديني واغداها على التعليم اللاديني .
واما الحصر والحصار المعنوي فهو ما لجأ اليه من تتغير وسخرية بطالب العلم الديني وبأستاذة وبالتفرقة بين أستاذي الدين والمواد الاخرى في كل شيء تفرقة مرسومة مقصودة ثم بالتفرقة بين خريج المعاهد والكليات الدينية وبين زملائه في الكليات الاخرى فمناهج المعاهد

والكليات الدينية محدودة متواضعة في المظهر وفي الاجر ، ومناصب المعاهد والكليات الاخرى عديدة كثيرة فارهة المظهر والاجر .

واما السبيل الثاني : فكان الابتعاث الى الخارج الى الدول الغير اسلامية وحقق ذلك الابتعاث نتائجها الباهرة المقصودة .فهو أولا يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ويزيده تعلقا بقيم الغرب او الشرق ومثله وهو من ناحية اخرى يبدأ بتطبيع بطباع غير اسلامية ثم يصير الطبع مع الزمن طبعا وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر حتى مع تقاليده في الملبس والمأكل والمشرب وطريقة التعامل ويغدوا غربيا او شرقيا ، وربما اكثر من الغربي او الشرقي ومثل ذلك الشيخ رفاة رافع الطهطاوي الذي ابتعث الى باريس خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) ليعود بعدها يصرح بان الرقص الغربي (الذي تتلاحق فيه الاجساد وتختلط الانفاس وتتلاقى النظرات) بان هذا الرقص لون من الشلبنة (اي الفتوة) ثم ينادي بالفرعونية (وهي في ميزان الاسلام جاهلية وعصبية) ينادي بها بديلا عن الاسلام^(٣٥).

ومن بعد رافع كان طه حسين وكتاباته في مستقبل الثقافة في مصر وفي مرآة الاسلام ومن قبلها في الشعر الجاهلي لا تحتاج الى تعليق لكل ذي بصر اسلامي .
ومع طه حسين قاسم امين الذي نادى في مصر بتحرير المرأة :
واما السبيل الثالث : هو انتشار المدارس الاجنبية في البلاد الاسلامية وقد كان في البداية سبيلا لتتصير المسلمين .

واما السبيل الرابع : فقد كان تميع المناهج الاسلامية باسم التطوير ولم يكن الامر قاصرا على مناهج المعاهد والكليات الدينية ان الامر امتد الى مناهج (الدين) في التعليم العام وصاحبها سوء اختيار معلم الدين الذي كثيرا ما يكون متعمدا ليورث في اللاشعور كراهية الدين والسخر منه .

اما السبيل الخامس والآخر : فقد كان نشر الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم وقد بدأوا بها في الجامعات في اكثر البلاد الاسلامية تحت دعوى التقدم والتمدين ونشر الروح الجامعية وكان التمدن والتقدم ونشر الروح الجامعية لا يتم الا بإشعال نار الغرائز وتأجيج سعار الشهوة في سن الشباب الملتهب^(٣٦).

وقالوا في تبرير الاختلاط الكثير فقد قالوا ان الاختلاط يشذب الغريزة ويهد بها ، واثبت العلم ان الاختلاط لا يخلو من احد الامرين :

اما ان يشبع البرود الجنسي بين الجنسين وهذا مرض تشكوا منه بعض البلاد وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية .

واما ان يؤجج سعار الجنسين ويزيد لهيبه ، وهو ما تؤكده تجربة القط والفأر الذين اتيا بهما وهما رضيعان ثم وضعا في قفص صغير واحد ، وظلا يأكلان سويا من طبق واحد ، حتى اذا جاء موعد ظهور الغريزة ولكل غريزة موعد انقض القط على الفار فأكله فلم تشفع له عشرة طالت ولا اختلاط دام^(٣٧).

وتزداد المهزلة حين يجعلون هؤلاء المراهقين مدرسات لتمتد النيران ما بين التلاميذ والمدرسات فتهدم قيمة احترام المدرس مع ما ينهدم من قيم بالاختلاط او مع الاختلاط .
وقد سبق خطوة الاختلاط في الدول الاسلامية المتقدمة خطوة تمر بها الان الدول الاسلامية (غير المتقدمة) وهو التوسع في تعليم البنات ، وتعليم البنات في حد ذاته قد لا يكون هو مصدر قلق ولكن التوسع في هذا التعليم من غير تخطيط اسلامي هو مصدر القلق كله ، ذلك ان انكار اختلاف فطرة المرأة عن الرجل غباء او تغاب فلا شك في هذا الاختلاف ، ومن ثم وجب اختلاف المناهج وفقا لهذا الاختلاف ، ووجب اختلاق مجالات العمل كذلك تبعا لهذا الاختلاف ، كذلك يسبق خطوة الاختلاط خطوة اخرى وهي تعرية المرأة (المسلمة) او كشف الحجاب عنها كذلك تحت دعاوى التحرر والتمدين وما حدث في الكويت الشقيقة منذ سنوات أقرب مثل ، لقد كانت الكويت وهي جزء من الجزيرة العربية تفرض عاداتها الاسلامية الحجاب على المرأة ، وكان اخر ما قدمته الكويت المسلمة احراجا لضيف كبير مسلم ان رقصت فتياتها المراهقات بملابس قصيرة تكشف عن افخاذهن وبأداء متكسر مثير امام الضيوف الكبار الذين امتدت بهم الجلسة الى ما بعد منتصف الليل ، وهكذا يسبق التحرر الاختلاط ليزول الحياء قبل الاختلاط فيسقط اكبر مانع يحول دون اشعال النار ، مع ذلك الضجيج الهائل من حوله ومع ذلك التخريب الهائل من داخله ، وهكذا مثلت (الازدواجية) في التعليم تكتيكا مرحليا مارسه اعداء الاسلام في الشرق الاسلامي المسكين^(٣٨).

ثانيا : العلمانية في الاعلام :

العلمانية في التعليم اقدم واخطر والعلمانية في الاعلام أعم وأشمل ومن هنا تكمن خطورتها ، ان التعليم قد يخاطب الالاف بمناهجه لكن الاعلام يخاطب الملايين ببرامجه واكثر

، من هنا كان اهتمام الاسلام بالكلمة وامانتها ، فأما ان ترتفع بالمؤمن الى معية سيد الشهداء ، واما ان تهوي بقائلها في النار سبعين خريفا ، ولأسفاننا نستطيع باطمئنان ان نقرر : ان وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتلفزيون وسينما مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة والاغراء بالجريمة والسعي بالفساد في الارض بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل... وهما (العقيدة والاخلاق) اساس لبناء الاسلام فاذا انهدم الاساس فكيف يقوم البناء؟؟(٣٩).

وتتفاوت درجات الفساد في وسائل الاعلام تبعا لهذه الوسائل فهي في السينما أشد يليها التلفزيون والاذاعة والصحافة ، كذلك تتفاوت درجات الفساد بين اقطار الاسلام المختلفة ، قد يقول قائل : ولربما كان الفساد في بلاد لا تجاهر به اشد من بلاد اخرى تجاهر به ، فيها الزنا واللواط واكل الربا وشرب الخمر وغير ذلك من المنكرات ، و قد يكون هذا صحيحا لا يماري فيه عالم ، وقد يكون علاجه واجبا ليس عن طريق الحدود وحدها ، وانما عن طريق التربية الصحيحة والعلاج الاجتماعي بوسائله المختلفة، بالقدوة والأخذ على يد المفسدين مهما كان مركزهم حتى لا تصير الحدود قصرا على الضعيف دون الشريف .

وليعلم الناس ما تفعله الصحافة في بلاد المسلمين نختار اربعة امثلة من تواريخ مختلفة : (أ) مقال نشر بجريدة السياسة الاسبوعية بالقاهرة سنة ١٩٢٦م ذكر فيه كاتب المقال ان بعض الفتيات التركيات يشبهن فتيات اوروبا ، وقد تلقى بعضهن العلم في الكلية الامريكية بالقسطنطينية وذكرت واحدة منهن (ب) في سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م استضافت اسرة تحرير الاهرام فيلسوف الوجودية سارتر وعشيقته التي تعيش معه في الحرام ويجهر بهذا الفجور والفساد.

(ج) ويبلغ الفجور في السبعينات اقصى مداه حين تنتشر جريدة الاهرام عن ضبط بيوت للدعارة فيها نساء من بيوت لم يكن يسمع عنها من قبل سوء ، وتنتشر عن ضبط تلميذات صغيرات في هذه البيوت(٤٠).

(د) وفي احد اعداد جريدة النهضة الكويتية سنة ١٩٧٦م تحقيق صحفي في سبع صفحات كبيرة مطرزة بصورة مثيرة لفتيات شبه عاريات وتحت عناوين بارزة كتب بالخط العريض : حصاد المعاكسات في اسواق الكويت ، مغازلات ، معاكسات ، همسات ، نظرات ، اشارات ، ارقام تليفونات .. سألت احدى الصحفيات بعض فتيات الكويت اللاتي ادلين بأسمائهن كاملة وقصصن

ما يحدث لهن من تحرشات بأسلوب مكشوف حتى ان احداهن لم تستح ان تصرح ان بائع الاحذية في كل مرة يقيس لها الحذاء او يخلعه بتحسس ساقها كما ان بائع الملابس يمسك خصرها بكتفا يديه ، ولا ندري ماذا يستفيد القاريء المسلم من مثل هذه التحقيقات الا تزيين الانحلال والتهوين من امره وتعليم من يتعلم^(٤١).

ونختم القول بالتنويه بما اوصى به المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة المنعقد في عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م بمدينة رسول الله ﷺ منددا بحال الاعلام في البلاد الاسلامية : (ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها اعلامنا ولا يزال يتردى عن علم من القائمين به او عليه او عن جهل منهم فبدلا من ان يكون الاعلام في البلاد الاسلامية منبر دعوة للخير ، ومنار اشاع للحق صار صوت افساد وسوط عذاب .. وسكت القادة فأقروا بسكوتهم او جازوا ذلك فشجعوا وحموا وزلزل الناس في ايمانهم وقيمهم ومثلهم ، ولم يعد الامر يحتمل السكوت من الدعاة الى الحق)^(٤٢).

ثالثا : العلمانية في القانون :

(حد يعمل به في الارض خير لأهل الارض من ان يمطروا اربعين صباحا) هذا مثل لأهمية الجانب القانوني في الاسلام . وكما تكون طاعة الله في الشعائر ، لا بد ان تكون كذلك في الشرائع وكما يكون اشراك بالله في الشعائر يكون كذلك اشراك بالله في الشرائع ، هذه كتلك لان كلا من عند الله ، والرهب لازم كالرغب في اقامة شريعة الله ، والرغبة تولدها السلطة ، والرغبة تولدها القدوة ، والاتقان يتحققان اذا كان الحكم للإسلام وكان حكامه من المسلمين من اجل ذلك كله كان حرص اعداء الاسلام على ابعاده عن مجال السلطة ليحرموا الاسلام ، الرهبة ، والرغبة ، ومن ثم ليبقى مجرد هيكل اقرب الى الموت منه الى الحياة^(٤٣).

المطلب الخامس : العلمانية بين الغرب والشرق

لم يكن غريبا في العرب ان تجد العلمانية مكانها فقد فرض ذلك ظروف العرب نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب العرب المختلفة ووقوفها على وجه كل تفتح فكري او كشف علمي وتجاوزها ذلك الحجر على العقول الى حجر اخطر على القلوب حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام !!

وغرقت أوروبا في دماء ضحايا الكنيسة حيث سقطت المئات بل الآلاف تحت مقاصل محاكم التفتيش ومشانقها ، غير من غيبوا في غياهب السجون ، وإذا كانت سنة الله في الكون أن لكل فعل رد فعل مساويا له في القوة ومضادا له في الاتجاه ، فلقد وقع الصراع العلم مع الكنيسة وانتهى بإعلان العلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة ، وتقلص سلطان الكنيسة داخل جدرانها !!

وفضلا عن أن ظروف أوروبا التاريخية كانت تبرر انتشار العلمانية وفصل الدين عن الدولة . فلقد كانت ظروف الديانة المسيحية بعدما ادخل عليها من تحريف كان اليهود وراء أكثره ، كانت ظروف الديانة المسيحية تسمح كذلك بوجود علمانية إلى جانب الدين . وليس غريبا بعد ذلك أن يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة ، وليس غريبا بعد ذلك أن نسمع أن الدين الذي حبس داخل جدران الكنيسة قد جرى فيه تطوير ، حتى صارت الصلاة تؤدي على انغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة وبين الألحان الدافئة والساخنة ، تحت سمع وبصر رجال الدين بل تحت رعايتهم وتوجيههم السيد^(٤٤)، وكانت أوروبا قد بلغت في التقدم العلمي (التكنولوجي) درجة جعلتها ولو إلى حين تستطيع أن تقيم نهضة مادية بهرت الناس في أكثر الأحيان ، وحين أريد نقل العلمانية إلى الشرق الإسلامي غفل المسخرون عن علم أو عن جهل غفلوا عن هذه الظروف جميعا ، غفلوا عن أنه ليس في ظروف الشرق الإسلامي التاريخية ما يبرر فصل الدين عن الدولة ، فلم يكن ثمة اضطهاد من رجال الدين الإسلامي - إذا صح التعبير للمقابلة مع رجال الكنيسة - لم يقع اضطهاد من علماء المسلمين للعلم أو العلماء^(٤٥).

ولم يكن في تاريخنا الإسلامي محاكم تفتيش ولا صكوك غفران وقرارات حرمان ، والذين انحرفوا من العلماء عن جادة السبيل إلى ممالأة الحكام لفظتهم الأمة وجعلتهم وراء ظهورها ، والذين كانوا لسان صدق حملتهم في حنايا صدورهم وقدمتهم في أول صفوفها ، كذلك لم تكن الديانة الإسلامية لتسمح بالفصل بين الدين والدولة لأن الدولة في فقه الإسلام قسم للدين لا قسم ، فلا دين بغير دولة ولا دولة بغير دين ، كذلك لم تكن الديانة الإسلامية لتسمح بقيام العلمانية إلى جوار الإسلام بمقولة أن الإسلام يبقى داخل دائرة العقيدة والشريعة وتعمل العلمانية في دائرة الشريعة لأن الإسلام عقيدة وشريعة وشريعة ، وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ، ولا يرضى أن يكون مع الله أرباب آخرون أو قياصرة آخرون يدين لهم الناس في مجال الشريعة كما

يدينون الله في مجال العقيدة والشعيرة ، كذلك مع التسليم بصحة نظرة الغرب التي اعتنقها الحاقدون او الجاهلون في الشرق الاسلامي ، فلم يكن الشرق الاسلامي قد وقف على قدميه وبلغ التطور العلمي والتكنولوجي الذي بلغه الغرب لي طرح الدين جانبا ويرفع شعار العلمانية^(٤٦).

المبحث الثاني

علاقة العلمانية بالدين الاسلامي

المطلب الاول : موقف علماء الاسلام من العلمانية

الاسلام يرفض العلمانية رفضا قاطعا سواء اكانت العلمانية بمعنى فصل الدين عن الحياة ام بمعنى اللادينية لأنها دعوة ضد الاسلام ، فالدولة في الاسلام ضرورة لابد منها وذلك لإنفاذ الاحكام الشرعية وصيانة الحقوق ووصول الدين الى اهدافه واغراضه في حفظ الدين والنفوس والعقول والاعراض والمال وغيرها، اما اذا ابعد الاسلام عن الحكم وعطلت صلاحياته فستصبح كثير من احكامه وتشريعاته حبرا على ورق لأنه لا يمكن تنفيذ تلك الاحكام من قبل الفرد وحده ، وذلك كالجهد في سبيل الله تعالى ، وتنفيذ القصاص وجباية الزكاة وتأمين الطرق ونشر الامن وفض الخصومات وما شابه ذلك^(٤٧).

ان الاسلام جاء عقيدة تنظم علاقة الناس بربهم ، وشريعة تدير جميع شؤون الحياة كلها والدين عند الله تعالى هو الاسلام ، والاسلام كما يدل عليه اسمه هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك .
وقد شملت اوامر الله ونواهيه الحياة بأسرها ، فليس هناك جانب من جوانب الحياة او شيء من نظمها الا والله تعالى فيه حكم ، فحياتنا العقدية ، والاجتماعية والتربوية ، والاقتصادية والسياسية ، وضع لنا اصول التعامل فيها ، وفصل لنا بعض جوانبها تفصيلا^(٤٨).

قال تعالى : ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين))

[الاعراف : ٨٩]

ويمكن ايضا وبيان حكم الاسلام من العلمانية كما يلي :

١ - العلمانية من الجانب العقدي تعني التكر للدين وعدم الايمان به ، وترك العمل بأحكامه وحدوده وهذا كفر صريح .

٢ - العلمانية في الجانب التشريعي تعني فصل الدين عن الدولة او فصل الدين عن الحياة كلها ، وهذا يعني الحكم بغير ما انزل الله .

وقد فصل علماء العقيدة الحكم بهذا على النحو التالي :

أ - اذا وقع الحكم بغير ما انزل الله تعالى والحاكم (سواء اكان فردا او مجموعة) يرى ان حكم الله غير صالح او غير جدير ، او ان حكم القوانين اصلح واتم واشمل لما يحتاجه الناس ، او اعتقد ان حكم القوانين مساوية لحكم الله ورسوله ، او اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله ونحو ذلك فهو كفر ، اعتقاد مخرج عن الملة^(٤٩).

ب - واذا وقع الحكم عن جهل ، او ضعف ، او الهوى في نفس صاحبه ، او لغرض دنيوي ، مع الاعتقاد بان حكم الله تعالى ورسوله ﷺ احق واصح واجدر ، وانه افضل من القوانين الوضعية فهذا كفر علمي ، او فسق وظلم تقام الحجة على صاحبه ويبين له الحق ، ويجب على المسلم ان يتوب الى الله تعالى ويرجع اليه^(٥٠).

ويدل على ذلك فهم السلف لقوله تعالى : ((ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون)) [المائدة : ٤٤] .

حيث قال احد المفسرين : ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر ، وكذا وكذا ..^(٥١) ، قال شارح الطحاوية : (وهنا امر يجب ان يتقطن له وهو ان الحكم بغير ما انزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة ، وقد يكون معصية كبيرة او صغيرة ، وذلك بحسب حال الحاكم فانه ان اعتقد ان الحكم بما انزل الله غير واجب ، وانه مخير فيه ، او استهان به مع تيقنه انه حكم الله فهذا كفر اكبر ، وان اعتقد وجوب ما انزل الله ، وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بانه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافرا^(٥٢) .

٣ - والعلمانية من الجانب الاخلاقي تعني : الانفلات والفوضى في اشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ والاستهانة بالدين والفضيلة وسنن الهدى ، وهذا ضلال مبين وفساد في الارض ، ومن العلمانيين من يرى ان السنن والآداب الشرعية والاخلاق الاسلامية انما هي تقاليد موروثة ، وهذا تصور جاهلي منحرف^(٥٣) .

ان العلمانية في حكم الاسلام دعوة مرفوضة لأنها دعوة الى حكم الجاهلية اي الى الحكم بما وضع البشر ، لا بما انزل الله ، والله تعالى يقول في محكم كتابه العزيز : ((وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما اتاكم)) [المائدة : ٤٨] .

ومن الآيات المبينة لأصول الدين وقواعده :

قوله تعالى : ((فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)) [ال عمران : ١٥٩] .

وقوله تعالى : ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) [النساء : ٦٥] .

ومن نصوص السنة التي تتعلق بالحكم ما يلي :

صح عن النبي ﷺ قال : ((من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعصي الامير فقد عصاني))^(٥٤).

صح عن النبي ﷺ قال : ((عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، واثرة ^(٥٥) عليك))^(٥٦)، روى عن النبي ﷺ قال : ((اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم))^(٥٧)، وقد امر النبي ﷺ بذلك حتى لا يقع بينهم خلاف .

المطلب الثاني : العوامل الفكرية التي ساهمت في اخصاب الارضية التي قامت عليها

العلمانية

يمكن القول ان العلمانية احدى الصور الفجة لانفصال السلطان عن القران الذي اخبر به النبي ﷺ وقد بدا هذا الانفصال التدريجي بشكل خافت بعد الخلافة الراشدة اثر انفصال اهل العلم والتقوى عن اهل السلطان والغلبة ، حيث تغيرت معايير اختيار اصحاب السلطان وان بقي اهل العلم يمثلون مرجعية للامة وفي كثير من الاحيان لاهلالسلطان انفسهم ، ولكن هذا الانفصال لم يكن في مبداه امره انفصالا عن الافكار والتصورات والعلاقات والتشريعات الاسلامية بقدر ما كان انفصالا بين (جهاز) التقصير و (جهاز) التنفيذ ، وان قدر وحدث انجراف ما في التنفيذ فانه كان يقع في دائرة الاجتهاد الخطا او الهوى والمعصية ، ولكن لم يتعد الى دائرة التصورات والافكار وتغييرها بغاية ايجاد مسوغ وتشرية لهذا الانحراف والتعدي كما هو حادث في العلمانية. وتعد بواكير (التراث الفكري الاسلامي) بعض الجذور العميقة لتصورات ومفاهيم

منحرفة عن الاسلام الصحيح حيث ساهمت الى حد كبير في اخصاب الارضية الفكرية التي عملت عليها العلمانية^(٥٨).

فمن ذلك : الاثر الذي تركته الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية على فكر بعض الفرق وخاصة المعتزلة ، حيث شاع عندهم تقديم العقل على النقل عند توهم تعارضهما ، حتى عدوا ذلك اصلا من اصول الاستدلال ، فكانوا ينكرون ما يستطيعون من الاحاديث النبوية التي تتعارض مع المعقول ، بحيث تصورهم لهذا المعقول بدعوى عدم ثبوتها او عدم حجيتها لكونها احاديث احاد لا تفيد اليقين ، وهذه الفكرة في احد جوانبها من شأنها تضيق نطاق النصوص الشرعية وما يستنبط منها لحساب توسيع مجال عمل العقل الذي اخذ يحتل مكانة النصوص في منهجية الاستدلال ، ثم كان للصوفية نصيب من هذا الاخصاب : اذ تعانق انحراف مفهومي (العبادة) و (القضاء والقدر) عند المتصوفة ، حيث تحول مفهوم الزهد الايجابي الذي كان عليه السلف على يد المتصوفة الى سلوك انسجابي اخذ شكل التفرغ (للعبادة) في مسجد او زاوية او خلوة او حتى كهف ، واما من انصرف الى معالجة شؤون الدنيا فقد كان ينظر اليه عند هؤلاء على انه انصرف عن العبادة ، وكما ان اضطراب العلاقة بين العقل والنقل عند المعتزلة الذي تطور لاحقا عن (التنويريين) الى اضطراب في العلاقة بين العلم والدين ، نجد هنا على يد المتصوفة علاقة متنافرة غريبة بين الدين والدنيا او بين الآخرة والدنيا ، فمن اراد الدين والآخرة فله المسجد لا شان له بالدنيا ، كما ان ما روجه الصوفية عن الفرق بين الحقيقة والشريعة كان بابا واسعا للانسلاخ من الشرع والتقلت من الدين تحت مظلة ادعاء (الولاية) ، وكذلك بعض الاراء الاصولية الفقهية الشاذة او الاستخدام السيء لبعض الاصول والقواعد الفقهية ، فقد ناقش الفقه _____اء مس_____الة (نسخ القياس والاجماع للقران والسنة)^(٥٩).

كما ساهم في ذلك : الانحراف عن ضوابط بعض الاصول والقواعد الفقهية مثل : الخروج بالاستحسان والمصالح المرسله من كونها المصالح الشرعية الى المصالح يرتزبها المتنفذون حسب عقولهم واهوائهم^(٦٠).

ومثل الانحراف بنظرية العرق او قاعدة (العادة محكمة) ليكون العرق والعادة هما الاصل الذي يقدم على ما سواه .

ومن هذه العوامل : اغلاق باب الاجتهاد منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، وهذا الاغلاق وان كان دافعه حسن النية حتى لا يدعي في دين الله من ليس اهلا للنظر والاجتهاد الا ان آثاره كانت عظيمة ، فهو وان كان فيه نوع من اعلاء لقدر عقول علماء السلف واجتهاداتهم الا ان فيه نوعا من الحجر على الكتاب والسنة وتقليل المعاني والحكم المستنبطة منهما بما لا يتجاوز ما

قاله هؤلاء العلماء الاجلاء ، وفي عصر الدولة العثمانية عندما تطورت الحياة اكثر كانت الحاجة ملحة لفتح باب الاجتهاد ، ولكن العلماء رفضوا ذلك ولم يقدموا في الوقت نفسه الحلول البديلة او يبدوا الاستعداد لتهيئة من يكونون اهلا لهذا الاجتهاد عندها استغل رواد العلمانية الاوائل ومن يريدون الكيدبالأمة الفرصة وتقدموا هم بالبديل : التغريب والعلمانية . ان هذه العوامل والمؤثرات رغم وجودها في مسيرة الامة الا انها لم تكن عناصر فاعلة الا في القرنين الاخيرين ، ذلك لان العوامل المساعدة التي تحت هذه العناصر على التفاعل لم تكن متوفرة قبل ذلك بشكل كاف ، ومن ابرز هذه العوامل المساعدة : الهزيمة النفسية لدى المسلمين ، وتوجه الغرب الى الغزو الفكري مع (او بدلا من) الغزو العسكري الذي ثبت اخفاقه وحده عبر حروب صليبية طويلة^(١١).

- كيفية تأثير هذه العوامل :

يرى بعض الباحثين ان الشرارة الاولى لهذا التوجه الغربي الصليبي (الغزو بالفكر والقيم) إتقدت في فكر لويس التاسع ١٢٧٠-١٢١٤م/٦١١-٦٦٩هـ ملك فرنسا وقائد اخر حملتين صليبيتين كبيرتين على العالم الاسلامي ، فحينما هزم في الحملة الصليبية السابعة واسر بالمنصورة سنة ١٢٥٠م/٦٤٨هـ إتاحت له فرصة التأمل والتدبير ، فوضع مخططا من اربعة محاور لغزو جديد (سلمي) للعالم الاسلامي^(١٢) ، وقد نشط هذا المخطط مجددا بدءا من عام ١٠٨٢هـ/١٦٧١م على يد الملك لويس الرابع عشر بواسطة وزيره الشهير (كولبير) الذي كلف بعض المعتمدين في الشرق بالبحث عن المخطوطات العربية^(١٣).

ففي ارض مصر بدا المخطط يدور في راس لويس التاسع ملك فرنسا ، وبعد اكثر من ٥٠٠ عام ، وعلى ثغر الاسكندرية من ارض مصر نزل القائد الفرنسي نابليون بونابرت ينفذ الحملة الفرنسية (علمانية العقل صليبية القلب) على العالم الاسلامي سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م ولم تستغرق هذه العملية عسكريا اكثر من ثلاث سنوات ولكن خلفت وراءها زلزالا كبيرا كانت اعدت له عدته ، واهم ملامح هذا الزلزال ما يلي :

اولا : انها ابتدئت بالتلبيس بادعاء تحلي حملة نابليون وجنوده بحلة الاسلام والمباديء والاهداف السامية ، فقد كان اول منشور لنابليون متصدرا بما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه)^(١٤).

ثانيا : بدء تنحية الشريعة واحلال بعض التنظيمات والدواوين (مجالس شورى) مكانها وقد أسندوا معظم الدواوين الى اناس غير علماء بالشريعة ، بل ان بعضها كان يراسه نصارى بل وصل الامر الى حد مناقشة الفرنج للمشايخ في مدى صلاحية احكام شرعية منصوص عليها في القرآن ومقارنتها بقوانينهم^(٦٥).

ثالثا : التوجه الى تهميش القوى الاسلامية المناهضة للتبعية للقرب وتحتيتها، الذي تطور بعد ذلك الى محاربة تلك القوى كما وضح التوجه الى تدجين بعض المشايخ واستمالة اصحاب النفوذ والتأثير بشد وثاق متين بينهم وبين الغرب وادخالهم في نطاق التبعية لفرنسا ، ومن الحوادث ذات الدلالة على ذلك : محاولة نابليون تقليد شيخ الازهر باعتباره رئيسا للديوان وشاحا يحمل الوان علم فرنسا ورفض شيخ الازهر لذلك ..^(٦٦).

رابعا : ظهر التوجه الواضح الى ابراز دور النصارى والاقليات الدينية الاخرى واعلاء قدرهم واشراكهم في مراكز التأثير واتخاذ القرار بصورة ملحوظة^(٦٧).

خامسا : اشاعوا الفجور والتحلل الاخلاقي بواسطة نسائهم وبغاياهم ، وشجعوا الفسقة وضعاف النفوس من المسلمين على الخوض فيه والتبجح به ، وكان واضحا حرصهم على اخراج المرأة المسلمة من اطارها المعتاد^(٦٨).

سادسا : تدشين عهد النباش في الحضارات القديمة السابقة على الاسلام ، واثارة النعرات الوطنية وروح الفخر بهذا الماضي الوثني ، مع عد المسلمين ضمن الغزاة لمصر فمن ذلك قولهم في احد المنشورات الموجهة الى الشعب المصري : (... وان العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في الدنيا اخذت عن اجداد اهل مصر الاوائل ، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الامم في تملكه ، فملكه اهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترک الان ...)^(٦٩) ، وهذا احد اسباب بذل جهودهم المعروفة في التنقيب عن الاثار الفرعونية ومن ضمن هذه الجهود تأسيس معهد الاثار الفرعونية .

سابعا : ظهور الحملة الفرنسية بمظهر الدولة الحديثة من تنظيمات ادارية وعسكرية وعمران مدني ، بل بمظهر الحرص على الرحمة والعدل بين الناس في بعض الاحيان ، تلك المظاهر التي بعد عهد المسلمين بها في عهود تخلفهم وانحطاطهم .

ثامنا : وضع استعراض الحملة لقوتها العسكرية وقدرتها العلمية ، وذلك من خلال مظاهر البطش والتتكيل واحراق القرى والبيوت واذلال المسلمين الذي كان ابرز احداثه اقتحامهم الازهر بخيولهم وسكرهم وتغوطهم فيه ، كما كانوا يعتمدون اظهار الفارق العلمي بينهم وبين المسلمين ، وذلك باجراء بعض التجارب الكيميائية والفيزيائية التي كان المسلمون يومها يحارون في تفسيرها^(٧٠).

تاسعا : حاول نابليون ايجاد قاعدة دعائية له ولمبادئه العلمانية التغريبية بإرسال (بعثات) اجبارية لبعض الاشخاص ليشكلوا بعد عودتهم تيارا يدعوا الى التغريب ويغير من تقاليد البلاد وعاداتها ، كما عمل على غزو المسلمين اجتماعيا باستخدام (الفن) والتمثيل .

هذه اهم ملامح الحملة الفرنسية على العالم الاسلامي (مصر والشام) ، ونلاحظ في نتائج هذه الملامح انها ولدت النتائج المطلوبة لقيام العوامل المساعدة بدورها التفاعلي ، فاذا كان الغزو الفكري المنظم لم يظهر بصورة كاملة فان الحملة حققت نجاحا ملحوظا في الغزو النفسي والاجتماعي للمسلمين ، فالحملة الفرنسية اطلقت قبل رحيتها رصاصة العلمانية والتغريب التي اصابت عقل الامة بعد حين من هذا الرحيل ، وبعبارة اخرى : قلبت الارض الهامدة واثارتها حتى تهيات لغرس البذور الفكرية الاولى للعلمانية والتغريب ، فلم ترحل الحملة الفرنسية عن مصر مكتفية بنقلها الارض الاجتماعية الاسلامية الهامدة ، بل خلفت ورائها بذورا ملقحة فكريا يمكن استنباتها في هذه الارض ، ويعد الشيخ حسن العطار ١٧٧٦-١٨٣٤م نموذجا لهذه الشريحة من المتأثرين فكريا بهذه الحملة ، فقد اندمج الى حد كبير في علوم الحملة الفرنسية كما انه نقل عنهم علومهم ، وفي الوقت نفسه تولى تعليمهم اللغة العربية ، وهو الذي اطلق قولته الشهيرة : (ان بلادنا لابد ان تتغير احوالها ويتجدد بها من المعارف ماليس فيها)^(٧١).

لذا يعده العلمانيون المعاصرون (رائدا من رواد النهضة ، حيث تتلمذ على يديه جيل من الرواد كرفاعة الطهطاوي ، ومحمد عباد الطنطاوي)^(٧٢).

الخلاصة في علمانية العقل صليبية القلب

ينبغي على المسلم الصادق الذي يشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله ان يتبرا من كل شكل من اشكال العلمنة كبرائته من الشرك والكفر والاحاد والنفاق والا فليخف على نفسه الردة عن الاسلام .

وقد اتفقت معاجم اللغة العربية على ان المرتد هو : الراجع عن الاسلام والعلمانية تبغي ذلك . فعلينا نحن المسلمين ان ننتبه ونق انفسنا واهلنا والمجتمع الاسلامي باكماله من كل دعوة علمانية ، اذا ما اردنا العودة الى الاسلام الصافي النقي ، علينا ان نحقق ما تعنيه كلمة (حنيفا) التي اطلقها ابو الانبياء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام عليه وعلى سائر الانبياء والرسل^(٧٣).

((قال يا قوم اني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين)) الانعام : ٧٨-٧٩ ، والذي امر الله سبحانه وتعالى خاتم انبيائه ورسوله محمد ﷺ ان يتبع ملته : ((ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) [النحل : ١٢٣] .

ثم قرن الباري ﷻ صدقه بمصداقيته فامر الامة جميعا باتباع ملته ((قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) ال عمران : ٩٥ . وكلمة (حنيفا) تعني : الميل عن العقائد والافكار الزائفة مهما كانت والركون الى الاسلام ((قل انني هداني ربي الى صراط المستقيم ديننا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين * قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين)) الانعام : ١٦١-١٦٣ . ولكي نحقق ذلك قولنا وفعلا في ذاتنا وعقلنا عقيدة وسلوكا في الحياة علينا ان نلعن براءتنا من كل نهج ومنهج خارج عن الاسلام لاننا اذا ما علمنا ان الله ﷻ لا ند له علينا ان نعلم ايضا ان لا ند لمنهجه ((ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)) الروم : ٣١-٣٢^(٧٤).

المبحث الثالث

العولمة

المطلب الاول: تعريف العولمة لغة واصطلاحاً

العولمة لغة: عولمة على وزن قولبة او كلمة (عولمة) نسبة الى العالم - بفتح العين - اي الكون ، وليس الى العلم - بكسر العين - والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر ، وهو مشتق من العلامة على ما قيل ، وقيل : مشتق من العلم ، فالعولمة كالريـاعـي فـي الشـكل فـهـو يشـبه (درجة) المصدر ، لكن (درجة) رباعي منقول ، اما (عولمة) فرباعي مخترع ان صح التعبير وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها ، وهي تدل على تحويل الشيء الى وضعية اخرى ومعناها : وضع الشيء على مستوى العالم ، واصبحت الكلمة دارجة على السنة الكتاب والمفكرين في انحاء الوطن العربي^(٧٥)، وقيل : ان العولمة مشتقة من الفعل (عولم) على صيغة (فوعل) واستخدام هذا الاشتقاق يفيد ان الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل ، اي ان العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم^(٧٦)، وقرر مجمع اللغة العربية اجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالميا^(٧٧).

- **العولمة اصطلاحاً :** العولمة مصطلح يعني جعل العالم عالما واحدا ، موجها توجيهها واحدا في اطار حضارة واحدة ، ولذلك قد تسمى الكونية او الكوكبية، وقد اطلق على العولمة بعض الكتاب والمفكرين (النظام العالمي الجديد) وهذا المصطلح استخدمه الرئيس الامريكى جورج بوش - الاب - في خطاب وجهه للامة الامريكية بمناسبة ارساله القوات الامريكية الى الخليج (بعد اسبوع واحد من نشوب الازمة في اغسطس ١٩٩٠ م) وفي معرض حديثه عن هذا القرار تحدث عن فكرة : عصر جديد ، وحقبة للحرية ، وزمن للسلام لكل الشعوب ، وبعد ذلك باقل من شهر اشار الى اقامة (نظام عالمي جديد) يكون متحررا من الارهاب واكثر امانا في طلب السلام ، عصر تستطيع فيه كل امم العالم ان تنعم بالرخاء وتعيش في تناغم^(٧٨).

وربما يوحي هذا الاطلاق - النظام العالمي الجديد - بان اللفظة ذات مضامين سياسية بنحته^(٧٩)، بمعنى اخر تشمل مضامين تتعلق بكل جوانب الحياة الانسانية ، ولقد فرض العولمة نفسها على الحياة المعاصرة على العديد من المستويات سياسيا واقتصاديا وفكريا وعلميا وثقافيا تشمل مضامين تتعلق بكل جوانب الحياة الانسانية ، ولقد فرضت العولمة نفسها على الحياة المعاصرة على العديد من المستويات سياسيا واقتصاديا ، فكريا وعلميا ، ثقافيا واعلاميا ، تربويا

وتعليمياً^(٨٠)، يقول الرئيس الأمريكي السابق كلينتون : (ليست العولمة مجرد قضية اقتصادية بل يجب النظر الى اهمية مسائل البيئة والتربية والصحة)^(٨١).

- وقيل ان العولمة (نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع التقني غير المحدود ، دون اعتبار للانظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم)^(٨٢).

- وقيل انها (تعاضم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي ، وتعاضم اليات فرضه سياسيا واقتصاديا واعلاميا وعسكريا ، بعد التدايعات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي) ، او هي (محاولة لغرض الفلسفة البراجماتية النفعية المادية العلمانية ، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم اجمع)^(٨٣).

- (والعولمة مصطلح بدا لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي ، بحيث لا يبقى منه الا خادم للقوى الكبرى)^(٨٤).

المطلب الثاني : نشأة العولمة وتطورها

العولمة تاريخها قديم لكن الذي يتجدد هو وسائلها ، وتتسع مساحة العولمة بقدر اتساع وسائلها ، فالاستعمار القديم الذي شمل جميع الرقعة الاسلامية تقريبا هو لون من ألوان العولمة ، لكنه لم يتمكن من تجاوز المفهوم العسكري بسبب قوة الحصانة الاسلامية ، وفي القرن التاسع عشر وخلال النصف الاول من هذا القرن تمكنت العولمة من احداث اختراق في الهوية الاسلامية من خلال تطور وسائل الطباعة والنشر ، وفي النصف الثاني من هذا القرن ازداد اختراق العولمة للهوية الاسلامية ، من خلال تطور اجهزة المواصلات والاتصالات ، وبانت الوسائل الاذاعية والتلفزيونية والنشر والحاسوب وشبكات الانترنت من ابرز وسائل العولمة . ان المرحلة الجديدة في تطور وسائل العولمة باستخدام ثروة المعلومات والاتصالات ، تشكل مزيدا من الاختراق في الهوية الاسلامية^(٨٥).

ولعلنا نذكر هذه المحطات على وجه الاجمال :

اولا : كان العرب في الماضي هم المطورون الاوائل لأنظمة المتاجرة عبر البلدان ، وكان المقر الرئيسي لذلك النشاط هو منطقة الخليج ، وكان يتمركز في جزيرة هرمز ، وقد استمرت هذه الحال الى نحو عام ١٦٠٠ م ، ولكن البرتغاليين قاموا خلال القرن الخامس عشر ببرامج بحث وتطوير في الثقافة البحرية فـ_____ (ساجرس) وكان الهدف لذلك البرنامج بناء اسطول بحري يتم فيه تحدي نظام المتاجرة الدولي

الذي يهيمن عليه العرب ، وقد نجح البرتغاليون في صنع السقيفة العابرة للمحيطات والتي بإمكانها عبور المحيط الاطلسي ، كما ان بإمكانها حمل مئة قطعة مدفعية واطلاق نيرانها^(٨٦).

ثانيا : لما انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م كانت قد خلفت اثارا تعد منعطفاً مهماً في تاريخ العولمة ، اذ انه بدا واضحا ان الهيمنة الحقيقية لا ينبغي ان تكون عسكرية ، وانما ثقافية واقتصادية ، وعبر مشروع (مارشال)^(٨٧).

ولم يكن هذا كرما ذاتيا من الولايات المتحدة الامريكية ، ولكنها كانت ترى بعدا في هذا البذل سيتحقق لها ، وهو انها ستجعل من اوربا واليابان جزء من سوق مفتوحة تساعدهم فيها على استيراد المصنوعات الامريكية ، وايجاد فرص للاستثمار بالإضافة اعادة تنظيم العلاقات النقدية واسعار الصرف ووسائل الدفع الدولية ، وقد تمثل ذلك بظهور (البنك الدولي) و (صندوق النقد الدولي)^(٨٨).

ثالثا : من المؤكد انه لم يكن معترفا بالعولمة في الدوائر العلمية على انها مفهوم له اهميته قبل عقد الثمانينات ، مع انها كانت تستخدم على نحو منقطع ، اما خلال النصف الثاني من ذلك العقد فقد اختلف الامر حيث اعلن (جوربا تشوف)^(٨٩).

عن قيام ثورة التغيير واعادة البناء وهذا يعني عند التحقيق انهيار الاتحاد السوفيتي سياسيا واقتصاديا ، كيانا ونفودا ، كما انه كان يعني اتجاه الخصم العنيد للغرب خطوات واسعة نحو المنهجية الغربية في السياسة والاقتصاد ، وكان ذلك في كل المعايير انتصارا لليبرالية والراسمالية ، وتلا ذلك سقوط (جدار برلين) عام ١٩٨٩م ، واخذت الدول التي كانت تشكل (حلف وارسو) تنظم الواحدة تلو الاخرى الى الحلف الاطلسي ، وبعضها ما زال يطرق الابواب ولما يفتح له^(٩٠).

المطلب الثالث : مظاهر العولمة

لا شك ان نظام العولمة قد فرض نفسه ووجوده وبسط نفوذه بفعل عوامل عدة ساعدته في ذلك خاصة ما يتعلق بالوسائل التكنولوجية الحديثة مثل الاقمار الاصطناعية وشبكة الانترنت والقنوات الفضائية والحواسيب وغير ذلك من وسائل الاتصال والتواصل المتعددة التي لا يخفى علينا مدى اهميتها القصوى في العصر الحاضر في التقريب بين الشعوب والدول والامم والحضارات ، ولم تنج البلاد العربية والاسلامية كباقي دول العالم من زحف العولمة واثارها ، وقد

عمد الغرب الى التغلغل فيها من اجل تحقيق اهدافه واغراضه السياسية والاقتصادية والثقافية ،
وتعد العولمة شكلا جديدا من اشكال الاستعمار الغربي الحديث الذي يستهدف من ورائها بسط
نفوذه وهيمنته على الدول العربية والاسلامية وشعوبها وخبراتها وامكاناتها الطبيعية والاقتصادية
والمادية^(٩١).

ولعل اهم مظاهر العولمة ما يلي :

اولا : المجال الاقتصادي :

لما انشأت منظمات ومؤتمرات تعني بالاقتصاد العالمي كمنظمة (الجات) ثم منظمة (التجارة العالمية) كانت العولمة لها نفوذ على تلك المنظمات وتمكنت من توجيهها وفق اجندتها التي تريد اخضاع الشعوب لها ، فالعولمة الاقتصادية مظهر من مظاهر العولمة ، ولذا ينطبق عليها التناظر بين الهدف الذي حدده مبتغوا العولمة وبين ما يمكن ان يطبق منطقا وعقلا .
وبعد قيام تلك المنظمات والسعي لتحقيق العولمة الاقتصادية تستجد امور توهن من شان هذه الفكرة ومدى تحقيقها وهي :

- ان العلاقات بين الدول والشركات ستكون علاقات تنافس وصراع على اقتناص الارباح .
- ان السبق والغلبة ثم الهيمنة هي للأقوى اقتصاديا ، والانحدار ومن ثم الانهيار من نصيب الضعفاء اقتصاديا .

- ان الاقتصاد ليس مجرد تبادلات مادية معزولة عن المشاعر ، فحينما يتوحد اناس في ظل منظومة اقتصادية معينة ، وتتداخل مصالحهم تقوم مشاعر الولاء والامتزاج بالآخر الذي ارتبط به بعض مصالحهم حتى لو كانت مصالح هو المغلوب فيها .

- هذه الفلسفة هي التي كان يرمي بها شمعون بيريز في مشروعه الشرق اوسطي ، حيث برهن على ان الحروب هي اسوا وسائل السيطرة ، بل ان السيطرة الحقيقية تكن بالاقتصاد والتكنولوجيا والعلم ، وان دول الشرق الاوسط قد انفقت الكثير على الحروب والدمار ولا بد ان تكسر الحواجز النفسية لوضع منظومة اقتصادية يرتبط بها الجميع^(٩٢).

وقد تمكنت الولايات المتحدة ، اضافة عشرات الاتفاقيات التجارية الثنائية او متعددة

الاطراف _____ من مختلف دول

العالم^(٩٣).

ثانيا : المجال السياسي والعسكري :

اعتمدت الولايات المتحدة سياسة التحالفات بعد الحرب العالمية الثانية ، وكثير من تلك التحالفات ، ثم من اعداء سابقين مثل اليابان وكوريا ، وتهدف تلك التحالفات منع اي قوم تهدد المصالح الامريكية ، فهي تبحث عن خصوم القوة التي تتوقع منها تهديدا في المستقبل وتدعم

اولئك الخصوم على نحو ما فعلت حيث دعمت حلف شمال الاطلسي ضد الاتحاد السوفيتي ابان الحرب الباردة ، وكما دعمت اليابان وتايوان وكوريا الجنوبية ضد القوانين السوفيتية والصينية ، وزرعت اليهود في فلسطين المحتلة ليكونوا في مواجهة العرب والمسلمين ، وقد استخدمت مواردها المالية الضخمة في ايجاد حلفاء لها ، يعتمد عليهم ومشروع (مارشال) والاستثمارات الضخمة جنوب شرق اسيا والمساعدات الخارجية للدول الصديقة نماذج على ذلك^(٩٤).

ثالثا : المجال الديني :

يقول هنجتون^(٩٥) : (مشكلة الغرب الخطيرة هي الاسلام ، الثقافة المختلفة التي يفتتح اصحابها بتفوق ثقافتهم) .

وقد ذكر ان الحل لاختراق هذه الثقافة اجراء حوار بين الحضارات وذلك لاحتواء الاختلافات الموجودة بين الاسلام والثقافة الغربية .

وهذا الهدف ليس جديدا مع العولمة ولا مع الحوارات الحضارية والدينية بل هو قديم منذ ان كان الاستعمار يرعى حملات التنصير التي كان هدفها كما قرره المنصر (زويمر)^(٩٦) ، وكما وحده (هاملتون جب)^(٩٧) هو اذابة مشاعر التقديس لدى المسلم للقران والسنة النبوية ، ليصبح فكره ونفسه مفتوحة لتقبل الروح الغربية في معارفها الاجتماعية وقيمها ونظمها ، او على الاقل لتقطع صلته بدينه فيصبح (مخلوقا لا صلة له بالله تائها في الحياة ، تتحكم به شهواته فيسهل استعباده)^(٩٨).

المطلب الرابع : المشرفون على العولمة المعاصرة

- اديان : يهود ، نصارى .
- دول : الولايات المتحدة ، اوروبا الغربية ، المثلث الاسيوي : اليابان ، الصين ، روسيا .
- القيادة : الولايات المتحدة .

قال فريدمان : (تحت امام معارك سياسية وحضارية فظيعة ، العولمة هي الامر كله ، والولايات المتحدة مجنونة ، تحت قوة ثورية خطيرة ، واولئك الذين يخشوننا على حق ، ان صندوق النقد قطة اليفة بالمقارنة مع العولمة ، في الماضي كان الكبير ياكل الصغير ، اما الان فالسريع ياكل البطيء)^(٩٩).

وقال الرئيس الامريكى السابق كلينتون : (ستكون العولمة حظ الولايات المتحدة الواعد ، ولن تشكل اي عرقلة لتقدمها ، سنقيم عالما جديدا بحدود جديدة يجب توسيعها ، ولن يشكل قيام العولمة اي تهديد لنا)^(١٠٠).

المطلب الخامس : خطر العولمة الثقافية على العالم الاسلامي

لعل من اخطر ما تحمله العولمة هو تهديدها لأصل العقيدة الاسلامية ، وذلك لان العولمة تشتمل على الدعوة الى وحدة الاديان ، وهي دعوة تنقض عقيدة الاسلام من اساسها وتهدمها من اصلها ، لان دين الاسلام قائم على حقيقة انه الرسالة الخاتمة من الله ﷻ للبشرية الناسخة لكل الاديان السابقة التي نزلت من السماء ، ثم اصابها التحريف والتغيير ودخل على اتباعها الانحراف العقائدي ، وتجلت خطورة هذه الدعوة في كونها تنقض عقد الاسلام من اصله ، فعقد الاسلام لا يستقيم الا مع اعتقاد بطلان كل الاديان الاخرى ، والايمان لا يعد صحيحا الا على اساس قوله ﷺ : ((قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون)) الكافرون : ١ ، اي : باعتقاد كفر كل من يعبد غير الله تعالى او بزعم انه يعبد الله بغير دين الاسلام وشريعة محمد ﷺ ، كما قال ﷺ : ((ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) ال عمران : ٨٥ ، كما يعبر عن هذه الحقيقة علماء الاسلام بان من نواقض الاسلام من لم يكفر المشركين والكفار او صحح دينهم .. والكفار هم اتباع كل دين غير دين الاسلام بعد بعثة رسول الله ﷺ (١٠١).

فالكون في نظر العولمة ما هو الا ميدان تنافس عل المصالح الدنيوية ، والانسان دائب البحث عن لذاته وشهوته ومنافعه ، وليست الحياة سوى فرحة قصيرة لا ينبغي ان تضيع في غير اللذة والجنس والمال والثروة والجمال ، وليس ورائها شيء اخر .

كما ان العولمة تحمل في طياتها نقضا لأحكام الشريعة الاسلامية بفرضها مبادئ تخالف الشريعة ومن الامثلة : تسويق العولمة توهم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، ومن الامثلة الواضحة على هذا قضية فرض مفهوم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، فهذا المفهوم منصوص عليه في الميثاق العالمي لحقوق الانسان، ومقتضاه ازالة جميع الفوارق على الاحكام والحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة وهو الامر الذي يتناقض مع الشريعة الاسلامية التي تقوم على اساس الفرق الفطري والخلقي بين الرجل والمرأة ، ذلك الفرق الذي يقتضي اختلافاً في بعض الاحكام والحقوق والواجبات بحسب اختلاف الاستعدادات الفطرية والمؤهلات التكوينية بينهما ، ولهذا نجد تقرر الشريعة الاسلامية عدم المساواة المطلقة بين الرجال والنساء امر قطعي الثبوت والدلالة ولا خلاف فيه ومجال فيه للاجتهد ، وعلى هذا قام الفقه الاسلامي ودلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وباجماع العلماء وبدءاً من باب الطهارة الى باب الشهادات اخر ابواب الفقه الاسلامي ، حيث نجد المرأة والرجل يجتمعان في احكام ويختلفان في احكام اخرى ، ومن صور الاختلافات ما جاء في احكام الحيض والنفاس واحكام لباس المرأة وفي الصلاة وعدم وجوب الجمعة والجماعة عليها وكون صلاتها في بيتها افضل ، وانها ممنوعة من الاذان بإجماع العلماء ومن امامة الرجال في الصلاة وخطبة الجمعة ، ومن الامثلة ايضا اختلاف احرامها للحج

والعمر في بعض الاحكام ، وكذلك اختلافها في احكام الميراث^(١٠٢) ، وهذا كله على سبيل المثال والا فثمة احكام كثيرة غير هذه قد اجمع العلماء على ان المرأة لا تتساوى فيها مع الرجل ، ودل على ذلك قوله ﷺ : ((وليس الذكر كالأنثى)) ال عمران : ٣٦ .

كما ان العولمة تهدد النظام الاخلاقي الاسلامي ، فمن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي ويحاول الغرب استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم^(١٠٣) ، ومن احدث محاولات العولمة محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه (Gender) بدل كلمة (Sex) والموسوعة البريطانية تعرف الجندر بأنه : (تقبل المرء لذاته ، وتعريفه لنفسه كشيء متميز عن جنسه البيولوجي الحقيقي) ، فهناك من الاشخاص يرون لاصله بين الجندر والجنس اذ ان ملامح الانسان البيولوجي الخارجية الجنسية مختلفة عن الاحساس الشخصي الداخلي لذاته او للجندر ، بعبارة اخرى فان الجندر بعبارتهم تنصرف الى غير الذكر والانثى كجنسين فقط ، والدين الاسلامي لا يقر الا بهما ، فالجندر تشمل الشاذين جنسيا من سحاقيات ولواطيين ومتحولي الجنس ، ومن هنا تاتي خطورة المسألة ولهذا نرى في المؤتمرات الدولية تسابقا من المنظومات الغربية وبعض الحكومات الغربية وخصوصا الاوروبية لغرض لفظة (Gender) بدل لفظ (Sex) التي تنصرف الى الذكر والانثى فقط ، وذلك عند الحديث عن حقوق الانسان او محاولة التمييز ضد الانسان او تحريم افعال ترتكب ضد الانسان^(١٠٤).

المطلب السادس : سبل الاستفادة من العولمة في الحفاظ على الهوية الاسلامية

هل العولمة شر محض فنحصر امورها في الوقاية منها ومقاومتها ؟ ام انه يمكن التأثير من خلال العولمة ، ان موقف النقد لا يعني حرمان النفس من امكانيات الاستفادة من الفرص التي يتيحها ، وذلك للتأثير الايجابي او على الاقل التخفيف من مخاطر السقوط في الرثاثة^(١٠٥). وقد ضربت بعض الامثلة عن ذلك :

اولا : ان من مظاهر العولمة وسائل الاتصال من الانترنت والفضائيات وان من هذه الوسائل من الممكن تسخيرها لخدمة البشرية عبر نشر الحقائق الاسلامية فالامة العربية والاسلامية تملك اعظم مشروع حضاري فانها تملك الوحي الالهي المعصوم ، الذي ينظم العلاقة بين العباد وخالقهم ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) الذاريات : ٥٦ ، وبين العباد بعضهم مع بعض ((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) الحجرات : ١٣ ، ومع سائر المخلوقات ((واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون)) البقرة : ٣٠ .

وثقافتنا وهويتنا قابلة للنمو والاعتناء اكثر من الازابة والتبعية ، لذا نؤمن بالتفاعل والتبادل الذي يتيح لثقافتنا فرصة النمو والانتشار لا الإذابة والتبعية^(١٠٦).

فعلى المسلم اليوم ان يحدد رسالته نحو العولمة وبين موقفه على الفهم الصحيح للإسلام ، وان ميزانه ميزان اخلاقي (التقوى) حيث يتحاور ويتعاون مع البشرية في العالم اذ الغي ميزان العصبية واللون والطبقة والثروة ، وجعل عمارة الكون والاحسان الى العالمين من مبادئه ومقاصده ، وكذلك المشاركة في توفير الخير للناس ، وحفظ الحقوق ، ومنع الظلم وان كان مع عدو او مخالف في الدين ((ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى)) المائدة : من الاية ٨ ، وعد القران الكريم اختلاف اللغات والالوان من آياته سبحانه ((ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم واللوان ان في ذلك لايات للعالمين)) [الروم : ٢٢].^(١٠٧).

ثانيا : ان ادوات العولمة ربما ساعدت في الحفاظ على الهوية حيث يتاح للمسلم في الغرب الحفاظ على هويته وتقويتها عبر مواقع الانترنت الاسلامية بل ويتفاعل معها وكذلك الفضائيات ، كما هو حال المهاجرون المسلمون في فرنسا ، والاكرد في المانيا .

ثالثا : العولمة المعاصرة افرزت تهديدا ثقافيا ، هذا التهديد الثقافي والديني قد يؤدي ايضا الى فرار الناس الى الدين ، يلوذون به ، ويحتمون بعقائدهم لدرجة التعصب والقتال لانهم يشعرون انهم مهددون في اعز شيء عندهم ، ولشدة خوفهم من الاستئصال والانسلاخ قصرا عن معتقداتهم ، لان الصراع يسهل ان ينشأ عندما يشعر الانسان انه مهدد في جانب من ذاتيته^(١٠٨)، ويقول احد علماء الغرب : (في العالم الاسلامي من يوجد ميل متواتر لدى المسلمين في اوقات الازمة ، لان يبحثوا عن هويتهم الاسلامية وانتمائهم في المجتمع الاسلامي)^(١٠٩).

رابعا : ان من ايجابيات العولمة القضاء على الحداثة بمعناها المعاي لكل ما هو قديم ، وذلك هو مازق الحداثة توضع الحداثة غربيا على مشرحة النقد والتفكيك بكل عناوينها ومسلماها ، بعد ان شهدت انفجاراتها المفهومية في اكثر فروع المعرفة والثقافة^(١١٠).

الخاتمة

وبعد الحمد لله تبارك وتعالى وتوفيقه لي على اتمام هذا البحث المتواضع اود ان الخص
اهم ما اشتمل عليه فيما يلي :

١ - ان العلمانية اصطلاح جاهلي لا صلة له بالعلم ، وانما سماها اعداء الاسلام بذلك امعانا
منهم بالتضليل والخداع ، والا فان عزل الدين عن العقيدة والشريعة وجميع نواحي الحياة يعني
في الاسلام الكفر ، والخروج من الدين ، وتعطيل حدود الله وشرعه .

اما العولمة فهي الوجه الحديث للاستعمار وسيطرة الغرب الاوربي والامريكي على مقدرات
العالم الثالث ، وهي المرادف للامركة اي هيمنة امريكا على العالم .

٢ - ان ظروف نشأة العلمانية في اوروبا لا تنطبق على الاسلام والمجتمعات الاسلامية وذلك
لانه بحمد الله ليس في الاسلام تحريف في مصدر عقيدته ، وليس فيه كهنوت ، ولا واسطة بين
الخالق وخلقته ، وانه لا عصمة لاحد الا الرسل عليهم السلام فيما يبلغونه عن الله ﷻ .

٣ - انه ليس في الاسلام صراع او خصام بين الدين والعلم بل ان الاسلام يدعوا الى العلم
النافع المثمر ، ويحث عليه كما ان الاسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومجتمع ومكان .

وكذلك ليس صحيحا ان العولمة في حد ذاتها تضمن الخير لكل الناس ، وليس صحيحا
كذلك ان العولمة في حد ذاتها شرا مطلقا ، ولكن العولمة لها ايجابياتها ولها سلبياتها التي يمكن
تفاديها باساليب معينة .

٤ - ان العلمانية تتعارض مع الاسلام تعارضا تاما في شتى المجالات ، ولا وجه للمقارنة بينهما
على الاطلاق ، وذلك لان الاسلام نظام الهي شرعه رب الخلق الذي يعلم احوال عباده وما
يصلح معاشهم وما يحقق لهم الخير في دنياهم واخراهم .

والعلمانية هي من وضع البشر وهم يخضعون للاهواء والشهوات وتتغلب عليهم العواطف
البشرية التي تحيد بهم عن الحق والصواب .